من هنا وهناك

رأى شاعر فرنسى كبير
فى أحد معاصريه من الكتاب

[هذا الحديث جرى مع الشاعر الفرنسى الكبير بول كلوديل . وهو معروف لدى جميع المتصلين بالأدب الفرنسى الحديث بنزعته الدينية وتمسكه كل التمسك بتعاليم الكنيسة الكاثوليكية . وأكثر أشعاره وقصصه التمثيلية تظهر فيها هذه النزعة بوضوح. فليس بمستغرب عليه فى هذا الحديث، وهذه نزعته ، أن يهاجم التفكير الحر المطلق من القيود فى شخص أندريه جيد الكاتب الفرنسى العظيم . وأن يلوم الحريصين على نشر أشعار الشاعر الفرنسى رامبو وتتبع آثاره .

ولهذا الحديث قيمته فى الدلالة على شدة تعارض الآراء وتطاحن النزعات مما يدل على نشاط الحياة فى الأدب الفرنسى .]

غرفة ذات طلاء أخضر فاتح وستائر فى زرقة السماء، وراءها أغطية من التل، ومصابيح جميلة ذات أغطية ينفذ منها النور ، تلك من ميزات السلام .

يقرب بول كلوديل بين مقعدين ويجلس ويصيخ بسمعه ، لقد طحنته السنون فلم يعد ذلك الرجل الذى وصف بأنه « المطرقة » ، أو الإعصار العاصف ، لقد قلت حدته وتضاءلت حماسته،فهو شيخ متين البنيان ، بدين وفيه حياة .

وبعد تبادل عبارات المجاملة نفذنا إلى لب الحديث .

— رامبو؟ أفضل ألا أتكلم عنه فقد دلّه أكثر مما ينبغى . وإنى لمتألم لهذا الاستعمال ، وإنه لما يحزن النفس تلطيخ مثل هذه المؤلفات ؛ فهى شبيهة بمكان جميل يكتشفه السياح فلا نلبث أن نجد فيه القمامة وعلب السردين ، فلا يعود صالحاً للزياره .

— هل تذكر السردين ؟ إنى أرى فى قولك خير وصف لأنصار مذهب السيريالزم .

— لقد نشرت مؤلفات رامبو كلها ، ولكن أربعة أخماس هذه

المؤلفات يجب ألا ينشر . فما ظهر منها لا يضيف شيئاً إلى مجده و إلى معرفته ، وكان جديراً أن يبقى حيث كان فى عالم الخفاء .

— فى مثل هذه الحالة الغامضة التى تلفت نظر علماء النفس وعلماء وظائف الأعضاء وعلماء الحالات المرضية إلا تجد كل شئ ضروريا ؟ . . .

— لكنى لا أجد فى حالة رامبو غموضاً . إن الرجل الكاثوليكى مثلى ، لا يجد فى حالته غرابة وليس فى رامبو ما هو مدعاة للغرابة غير شبابه وصباحته وجماله .

— ما دخل الكثلكة فى مشارب الخمر والكؤوس والغراميات غير المشروعة والمال المغتصب وطلقات المسدس وما يوجد فى مؤلفاته من فوضى وثورة ؟

— لكن هذه الثورة هى من جهة مسيحية ، وليس فى كل ذلك ماهو عجيب . إنه لواضح تماماً . ولكن العجيب أنه بلغ فى فصاحته إلى الكمال طفرة واحدة . و إنه أنشأ فى الأدب قانوناً جديداً ، وهذا ما يميزه عن مقلديه الذين تنقصهم دقة العبارة والوزن . فمباحث الباحثين فيه خالية من كل قيمة .

— على أن العقل الباطن . . .

— العقل الباطن ! العقل الباطن ! إنه لا يصبر باطناً إذا أمكن التغلب عليه .

أجل ! التغلب عليه . . . فلنترك هذه الأشواك .

— إذا كنت لا تقر بمجهود تلاميذ رامبو فلعلك تهتم بغيرهم من الكتاب الناشئين ؟ إنه لمن المهم أن تخبرنى عن نظرتك إلى أولئك الذين يصدون بناء نظرية القيم الأخلاقية على الانسان وحده فى عالم تجرد من الآمال .

— إن القيم الأخلاقية هى أوامر الله وأوامر الكنيسة ، ولا توجد قيم أخلاقية أو روحية بعيدة عن ذلك ، وما يكتشفه كتابك هؤلاء هو فى نظرى حقير .

— إن مأساتهم و إخلاصهم . . .

— هذا لا يهمنى مطلقاً فليتصرفوا كما يستطيعون .

— . . .

وقد رأى علىّ علائم الاضطراب فرقت حاشيته .

— إنى مثل الديك الذى لا يفهم شيئاً عن البطة . وليس الفهم من شأنى أنا ذلك الرجل الكهل . و إن عدم الفهم لجزء من صفاتى .

— ومع ذلك فان البحث عن

الصفات التى لا ترفع من شأن الانسان هى عمل رجل من معاصريك وهو أندريه جيد .

— إنى لأمقت هذا كل المقت

— ؟ ؟ ؟

— إنى لا أعترف له بأى نوع من الموهبة.

أى قول هذا !

— إن حيرته أو ما يسميه عدم اطمئنان . . .

— ألا تظن أن هذا القول طعن فيه ؟

— . . . إن ما يغيب عن فهمى هو نفوذه . فمن الوجهة الفنية ومن الوجهة العقلية لا أرى فى جيد شيئاً . ونفوذه هو عندى موضع غرابة لا تنتهى .

— لقد قلت عنه : « إن الشر لا يخلق شيئاً ! » وهو يعترف فى مذكراته أنه لا يفهم تماماً معنى لهذه الغيبة .

— إن قواعد الدين تعلمنا أن الشر غير موجود ، بل هو عنصر مهدم وسلبى ، وأن الشر لا أهمية له إلا عن طريق الألم . فهو من هذه الوجهة عنصر خالق لا اعتراض عليه . ومن شأن جيد أن يستسلم للشهوات الرخيصة وللحاجات التى يظن أنها طبيعية بدلا من أن يخلق وسطا حيا لنفسه . إن المسيحية لمدرسة للقوة نتعلم فيها البطولة .

— وإذا كان جيد لم يؤمن ...

— ذلك لأنه يسير بغير دليل فهو يضرب مثلا سيئاً للجبن والضعف.

— إنه لا يجب أن يدافع عنه... ولكن هل تجهل شجاعته فى آرائه المتناقضة و إخلاصه لها ؟

فضحك ضحكة الاحتقار الهادئ .

— لأترك لك كلمة الاخلاص لكى ترتاح نفسك .

ونظر إلى نظرة إشفاق .

— لا تعتقد أنى أضمر لك السوء ، ولكنك توجه إلىّ أسئلة غير منتظرة ولم يكن لدى من الوقت ما أفكر فيه .

— هل هذا ممكن !

— إنى لا أريد الجدل . لقد كنت متصلا بجيد عندما كنت أعتقد فى مسيحيته وكنت أجهل عيبه الفظيع . . .

وترك إتمام عبارته فى حياء :

— أجل إلى اللحظة التى عرفت فيها . . . سقطته . ولا ريب فى أن رجال الشرطة يقاومون الذين يدسون السم للناس ، وهو ممن يدسونه . ولا أقول ذلك جزافاً ؛ فكم من رسائل جاءتنى من شبان جرهم للغواية .

ونجد دائماً جيد فى أول طريقهم للشر .

— ثم ينتهون بك .

— بعد وقت يجدون طريق الشر لا يؤدى بهم إلى شئ ، فيتجهون نحوى .

— إن جيد علمنا جميعاً قيمة الاخلاص نحو النفس وأضاء لنا أسباب أعمالنا .

— هل تظن أنه يقول حقا أسباب أعماله ؟ إن جيد يخلبه مناظر المرآة . وليست مذكراته إلا سلسلة من صور نفسه كما يراها حين وقوفه أمام هذه المرآة . ونحن إذا ما نظرنا إليها نتخذ دائماً موقفاً صناعيا، فمذكراته من هذه الوجهة هى صرح من عدم الاخلاص .

— إن فى كتابات جيد صفحات عديدة تدل على القلق، ولا أزال أذكر عبارة يقول فيها تقريباً ما يأتى : إذا كنت قد امتنعت بعض الوقت عن كتابة هذه المذكرات فذلك لأن الكتابة تجعلها أقل إخلاصاً ، وهذا دليل على موقفه الأدبى .

— إنه يفتح جرحه بريشة طائر صغير ، أما المأساة الأساسية فى حياته فهو لا يتكلم عنها .

— يكفى القارئ أن يعرف أن هنالك مأساة أساسية .

— أما عيبه الخطير . . . عيبه . . . الطبيعى فانه لا يكاد يشير إليه .

— ولكن هذا غير حقيقى بعد ما كتبه . . . وبعد كتابه « إذا كانت البذرة لا تموت » .

ولكن هل أسمع من لا يريد أن يسمع ؟

— إنى أحارب هذا التأثير بكل الأسلحة لدى ، فماذا تريد؟ نعم أو لا .

— و إذا كنا نجمع بين نعم ولا؟

— لا أفهم ما تعنى .

واعتقدت أن الحديث قد انتهى . ولكن كلوديل أضاف إليه كأنه على سبيل الانتقال :

— إن كل هذا لا يهمنى ؟

— إذن ماذا يهمك .

— الصعوبات التى تجدها المظاهر الفنية فى فرنسا؛ فان لدينا وزارة للفنون والآداب لخدمة الفن كما يقولون ... وقد أنشئت إدارة فيها مئات من الموظفين ، ومع ذلك تفرض ضرائب تخنق هذه الفنون . وخير مثل لذلك مايجرى فى الكوميدى فرنسيز . فأربعة أخماس البرامج يجب إلقاؤها فى سلة القمامة . فهم يمثلون «رى بلاس» ولابيش وأية قيمة لهذا وفى زمن مسيو فودواييه كانوا يخرجون مؤلفات

عظيمة « كالملكة المتوفاة » و « الحذاء من الحرير » فما أن رحل مسيو فودواييه حتى أصدر مسيو ديكس أمراً بالعدول عن إخراج « الحذاء من الحرير ». ولازلت أسائل عن السبب. وقد أنفقت ملايين فى سبيل تجديد مسرح الأوديون وهذا أكبر سخرية. فقد وضعو متراً من الأسمنت المسلح تحت المسرح ، فصار من غير الممكن تمثيل « الحذاء الحريرى » لأن السفينة التى قد تغرق على المسرح لا يمكن أن تخترق الأسمنت المسلح. فأنت ترى أنه ليس لدى الوقت للتجارب إذ يجب أن أحافظ على أملاكى وأسهر على نتاجى وهذا زمنه.

وخرجت . . . أستنشق الهواء وأسير على غير هدى.

وبعد أن تخلصت من دهشتى لا من ذاكرتى ، رأيت بيتاً من الشعر يسرح إلى ذهنى ، بيتاً بسيطاً رناناً براقاً ، وهو من أشعار بول كلوديل ، وكان مصرا على البقاء فى الذاكرة كأنه تفسير لما حدث وهو:

إنى أسكن من إمبراطورية قديمة خرائبها الأساسية.

عن الفرنسية — دومنيك ارباده

محاضرة فى سر الزخرفة العربية

دعا الأستاذ المستشرق كونتز مدير المعهد الفرنسى للآثار الشرقية يوم الخميس ٢٩ مايو نخبة من الكبراء والأدباء إلى الاجتماع بدار المعهد لسماع البحث الذى افتتح به الدكتور بشر فارس أعماله فى المعهد على أثر تعيينه فيه عضواً مصريا.

وكان موضوع البحث يدور حول حكمة الزخرفة العربية واتصالها ببعض العقائد والمواقف الفكرية الاسلامية. فبين لنا الباحث بأسلوب فرنسى دقيق وشعرى فى آن واحد كنه هذه الزخرفة ، ففصل « الأرابسك » والتهذيب والتحوير والخط وأتى بألفاظ ومصطلحات جديده بالفرنسية والعربية ، منها « الرمى » و« الخيط » لنوعين من أنواع التزويق. وقد أرجع كل ذلك إلى حياة روحية صرفة مستشهداً بآيات وأحاديث ، أنتجت

تصورات خاصة بين دينية واجتماعية .

ثم دلل الباحث على ماذهب إليه بعرض صور ناطقة إسلامية ثم مسيحية، وبخاصة قبطية تأثرت بروح الزخرفة العربية .

فجاء البحث غاية فى الطرافة والتدليل الصحيح ، وهو يعتبر اتجاهاً جديداً قائماً على الفلسفة وما بعد الطبيعة فى فهم الفن العربى الاسلامى .

م . ك